النعمة والحق

May
Jun

5-6

2016

النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة الرابعة والعشرين

مايو ويونيو ٢٠١٦

العدد ١٤١

في هذا العدد :

افتتاحية العدد	اسمع جيداً	١
موضوع العدد	لنقم ونبني	٢
موضوع العدد	نظرة على سفر زكريا	٨
الأخبار السارة	اسمعوا فتحيا أنفسكم	١٥
شخصيات ومواقف	حياة يوسف	١٦
شخصيات ومواقف	حياة بطرس	٢٤
تأملات هادئة	--	٣٢
من روائع الكلمة	النعمة الفائقة	--

يتكلم الله إليك يوميًا بطرق عديدة لترجع إليه... فهل تجاوبت معه؟

❁

اقرأ الأخبار السارة ص ١٥

- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ١٠ جنيهات، أو ما يوازي ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gtmag@ilovejesus.net
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١ - الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملاً.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢٧٤٠٣٥ - الإسكندرية (٠٣).

افتتاحية العدد

بول البرتس

اسمع جيدًا

أحد الدروس المستفادة من هذا العدد ووالبارزة بشدة هي أن نستمع لصوت الرب جيدًا. وكم مِن مرة في حياتنا تتبخر ولا تبدو ذات فاعلية ما نتلقاه من إرشادات وتنبيهات؛ مِن الوالدين، المعلم، والزوج. وتمضي من تفكيرنا دون أن نهتم بها وكما يقول البعض "أنها تعبر من الأذن، لتخرج من الأخرى" وإن كنا في حالات نادرة نستمع جيدًا لبعض الأشخاص حتى لو أدركنا وفهمنا بعض الشيء فيما يتعلق بأحد الأمور.

إن كان الأمر كذلك بين الناس وبعضهم البعض؛ ألا يكون الأمر أكثر أهمية فيما يتعلق بعلاقتنا مع الرب؟ وفي هذا؛ أضع أمامك - عزيزي القارئ - كلمات الوحي:-

«أَنْتُمُ الَّذِينَ لاَ تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَدِ! لأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ»(يع٤: ١٤)

وفي المقابل نقرأ عن الرب يسوع «فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ»(يو١٨: ٤) فكثيرًا ما نظن أننا نعرف شيئًا؛ لكن الرب يعرف كل شيء جيدًا!.

وهناك أمثلة كثيرة لبيان عظمته في مقابل عقدة النقص فينا؛ فلماذا لا نبالي بإرشاداته وكلماته لنا ؟ أنه أمر جدير باهتمامنا. فهل نفحص أنفسنا في ضوء كلمته إذ ننظر إليها كمرآة؟ إنها تعلن لنا - نحن المؤمنين - الكثير من الأمور في حياتنا يومًا فيومًا، ومن خلال الروح القدس، لنا القوة أن نتعلم ونعرف عن شخصه المجيد؛ الكثير كما وأنه لم يعطنا رجاءاً لا يُخزي. وهذه كلها تبني إيماننا: إن أحسنا السمع!!

وبجانب كل ذلك؛ هناك رسالة للآخرين. إنها قضية تستدعي أن تتأمل طرقك- عزيزي القارئ - لكي تدرك حاجتك للمخلص. آمن بالرب يسوع المسيح وسلم حياتك له. إن الدعوة مستعجلة لأن الوقت يمضي سريعًا حينما يكون متأخرًا جدًا لقبول هبة الله المجانية ونحن لا نعلم متى يكون ذلك إلا أن الله الآب يعلم. أفلا تسمع!

موضوع العدد

لنقم ونبني

ستيفن كامبل

ماذا نقول لأناس عملوا بنشاط لأجل الرب ثم تحولوا للاهتمام بأنفسهم؟ تلك هي الحالة التي واجهها النبي زكريا. فبعد سنوات من السبي البابلي، وبناء على أمر كورش ملك فارس. ولقد وصف عزرا الكاتب كيف أن الشعب بنى المذابح ووضع أساس إعادة بناء الهيكل (عز٣) فرصة لفرح عظيم. إلا أنه حينما قاومهم الأعداء؛ تخاذلوا. وكان يبدو أن ذلك التصادم من جانب الرؤساء الفارسيين (عز٤) وكان هناك ما هو أعمق من ذلك، فقد كشف النبي حجي بأن الشعب كان يهتم ببيوتهم أكثر من بناء بيت الرب (حج١: ٩).

وبالتبعية؛ أحتاج الشعب أن ينهض من نومه الروحي. وطبقًا لما ذكره عزرا في سفره (٥: ١) فقد استخدم الرب النبيين حجي وزكريا لهذا العمل حوالي ٥٢٠ ق.م، بعد حوالي ١٨ سنة بعد وضع أساس الهيكل. وحينما استجاب الشعب لكلمة الرب بدأوا في البناء مرة ثانية وانتهت المقاومة السياسية. وبروح الطاعة والتعاون معًا انتهى المشروع في حوالي أربع سنوات.

ولكي يُنهض الشعب، فإن حجي استثارهم ليتأملوا طرقهم وفي المقابل فإن زكريا فقد كانت رسالته ليتأملوا مخططات الرب وأفكاره. وهذان النداءان يبنيان المؤمنين اليوم أيضًا فنضع أولوياتنا في مكانها الصحيح بوجهة نظر ثابتة.

تضمنت نبوءة زكريا أقسامًا مختلفة: ثماني رؤى منفصلة، إجابة عن سؤال ثم تقديم رسالتين. وابتدءًا؛ فإن زكريا ذكر دعوة الله لشعبه بالرجوع إليه (زك١: ١-٦)

فبينما عادوا إلى الأرض جسديًا فهم يحتاجون أن يرجعوا إلى الرب نفسه بقلوبهم. لقد رفض آباءهم طاعة الأنبياء في يومهم، والآن فقد دعى الرب المعاصرين لزكريا ألا يفعلوا نفس الأمر. ولكي يعزز ذلك فالرب أعطى زكريا ثماني رؤى متضمنة الإصحاحات الست الأولى من سفره.

الرؤى:

كان زكريا غلامًا (زك٢: ٤) وإن كانت تلك الرؤى تحتوي على رموز كثيرة، فهي تعلن لنا بأن الرب يعلن بأنه يعتني عناية خاصة ليُظهر بأنه يفهم الشعب جيدًا: وهذا الحق يساعدنا كثيرًا في زماننا الحاضر أيضًا. **والرؤيا الأولى** تقدم أربعة خيول (١: ٨) أحدهم كان يركبها ملاك الرب؛ تعبير يشير إلى المسيح نفسه قبل التجسد. والباقون يصفهم الوحي كخدام الرب الذين أرسلهم «للجولان في الأرض» أي تحت خضوعه. وإذا بهم يهينون الرب: مستريحون؛ أي في حالة رضا نفسي وفي اكتفاء ويملأهم الشعور بعدم وجود أية خطية بل «أعَانُوا الشَّرَّ» (ع١٥) ولذلك فإن الرب يعتزم أن يشجع صهيون بتقديم الرحمة والرخاء. وفي **الرؤيا الثانية** ظهرت أربعة قرون قوية تمثل الإمبراطوريات المضادة لشعب الرب؛ وهي بابل، فارس، اليونان والرومان؛ التي ستظهر بعد زمن زكريا. إلا أن الرب اعد أربعة صنَّاع (١: ٢٠) الذين سيسحقون قوة تلك القرون.

هاتان الاثنتان من الرؤى؛ تصور منظور رسالة زكريا؛ فالرب قصد أن يملأ شعبه بالرجاء؛ فلئن أعاق فشلهم الزريع من بناء ولو هيكلاً صغيرًا للرب؛ إلا أنه يعلم ظروفهم. فهو يعلم ما عاناه شعبه ولديه مخططًا لبركتهم ورخائهم بالرغم من شدة المحنة والضعف في مواجهتهم.

والرؤيا الثالثة استطراد لنفس الفكرة؛ وهي ثرى رجلاً ومعه حبل قياس؛ ليقيس أورشليم؛ كم عرضها وكم طولها؛ وبينما حالتها تثير الخوف، والرب يَعد بأنها في المستقبل سيسكنها الكثير من الناس والبهائم وهو نفسه سور لها من حولها للحماية (٢: ١-٥).

وتشجع الشعب بمواعيد الرب وبسبب محبته إذ قال: «مَنْ يَمَسُّكُمْ يَمَسُّ حَدَقَةَ عَيْنِهِ» (ع٨) بل؛ فإن الأمم الذين ضايقونهم سيكونون له شعبًا (٢: ١٠-١٣).

أما **الرؤيا الرابعة**، فهي تبرز يهوشع الكاهن العظيم؛ واقفًا في محضر الرب والشيطان يقاومه وإن كان يهوشع لابسًا ثيابًا قذرة؛ فلم يكن قبوله أمام الرب مؤسسًا على استحقاقه الشخصي بل على أساس نعمة الله؛ إذ شهد عنه الرب بأنه «شعلة منتشلة من النار» (٣: ٢) «وَأُلْبِسُكَ ثِيَابًا مُزَخْرَفَةً» وأعلن الله لكل من يهوشع ورفقائه بأنه سيأتي بعبده «الْغُصْنِ»، المسيا الذي سيؤسس حالة البر والسلام بين الشعب (٣: ٨-١٠).

وهنا نصل إلى قمة نبوءة زكريا التي تبرهن بأن الله سوف ينتصر حتى على الشيطان نفسه لتأسيس الملكوت المجيد الذي سيستلمه مسيحه؛ المسيا، الجدير باستلامه. ونحن كمؤمنين بأن المسيح؛ مخلصنا سيحظى بذلك المجد أو الذي فيه سيجمع الله كل شيء (أف١: ١٠) إنه أمر مجيد بأن المسيح سيتمم كل أغراض الله ولا تعوقه في ذلك أية قوة.

الرؤى الأربعة المتبقية؛ تصور امتداد مجد المسيح مستقبلاً وتشجيع زربابل، الوالي في أيام زكريا، **بالرؤيا الخامسة**؛ حيث نرى منارة ولها مصدر زيت لا ينقطع يكون من زيتونتين مما يشير أن عمل الله يتم «لاَ بِالْقُدْرَةِ وَلاَ بِالْقُوَّةِ، بَلْ بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ» (٤: ٦) كما وأن زربابل في عمله يشير إلى المسيا مستقبلاً في ملكه. **والرؤيا السادسة** تصور درجًا طائرًا ليعلن كل من يحلف باسمي زورًا (٥: ٤) وبعدها تأتي **الرؤيا السابعة** فنرى امرأة تدعي «الشر» طُرحت في سلة عليها غطاء من رصاص. وخرجت امرأتان

والريح في أجنحتهما فرفعتا الايفه إلى أرض شنعار إشارة إلى الإمبراطورية البابلية (أنظر دا١١: ٢) وتشير إلى برج بابل حيث حاول الأشرار بناءه قديمًا (تك١١: ١-٩) مما يؤكد بأنه مستقبلاً ستتنقى الأرض من الشرور الموجودة في قلوب المدعين بما ليس لهم. وأخيرًا نجد أن **الرؤيا الثامنة**؛ الخيول والمركبات وهي تشير إلى أن جيوش الله متأهبة لإتمام مشيئته شمالاً وجنوبًا وفي كل الأرض وذلك لإراحة روح الله (٦: ٥-٨).

وإذ نعرف خيوط خطة الله المستقبلية، فإنها تقوي وتشدد أيادينا الضعيفة لخدمته الآن. وهو ما حدث حقيقة في أورشليم؛ إذ أنه حالما سمع الشعب أقوال زكريا تحمسوا ليقوموا ويبنوا (عز٥: ٢) بل وإن الرب قال لهم بأن يقبلوا ذهبًا وفضة من بقية المسبيين الباقين في بابل. وصنعوا بها تاجًا ليهوشع إشارة لمجد غصن الله الذي سيبني الهيكل ويملك في مجد (زك٦: ٩-١٥) إن يوم التتويج في يوم زكريا هو حدث عظيم - والقياس مع الفارق - سيكون عظيمًا مستقبلاً.

سؤال كبير

بعد ذلك بسنتين، وبينما كان الهيكل يُبنى؛ سأل زكريا سؤالاً هامًا: هل يستمرون صائمين كما فعلوا كمسبيين في أرض بابل؟ وهم يقصدون الصوم في الشهر الخامس الذي تأسس خلال السبي كنوع من النوح والبكاء بسبب تدمير أورشليم والهيكل. وذكر الرب صيامهم في الشهر السابع تذكارًا لمقتل جدليا الذي كان واليًا على بقية الشعب الذين بقوا في الأرض بعد السبي. والرب - من جهته - وبخ الشعب بسبب هذه الطقوس لأنها كانت تعبيرًا عن حزنهم لمعاناتهم بسبب الضيقات وليس عن اختبار التوبة الحقيقية - وسواء صاموا أم أفطروا؛ فقد فكروا في أنفسهم فقط (٧: ٥-٧).

ومن الجهة الأخرى؛ فقد أجاب الرب بطريقة ايجابية بوصفه المجد - مستقبلاً - لأورشليم؛ مدينة الحق والتي ستمتلئ بالشيوخ والشيخات، بالصبيان والبنات لاعبين في

أسواقها المزدهرة (٨: ٣-١٣) أيام نوحٍ بلا هدف إذ يمارسونها كعادة وليس في ثوب روحي وبلا جدوى إذ كانت لا تغرس في نفوسهم عقد العزم لإطاعة كلمة الرب. كانت دعوته عملية؛ فبدلاً من الصيام؛ يجب عليهم أن يشددوا أياديهم للعمل تابعين الحق والعدل والسلام (٨: ٩، ١٦-١٩) ومن جهتنا فإن هذا الدرس يُعني أننا ليس فقط أن نثق في الرب بل أن تلك التقاليد تصبح بلا جدوى إن لم تظهر فينا صفات الرب. وكما قال أحدهم في هذا: ''فهذه ليست ترنيمة يوم الأحد بل هي الفعل يوم الاثنين'' وهذا هو الاختبار الحقيقي.

رسائل من الرب

الإصحاحات (٩-١٤) من نبوءة زكريا، تقدم رؤيا جديدة للنبي تحتوي على رسالتين أو واجهتين لكلمة الرب؛ الأولى (٩-١١) نجد فيها تحذيرًا للأمم وظهور مَلك موعود. وفي (٩:٩) نجد وصفًا دقيقًا لدخول الرب يسوع إلى أورشليم - وديعًا - راكبًا على جحش ابن أتان؛ وبالرغم من وضوح تلك النبوة؛ فقد رفضوه - له المجد. والرعاة الكذبة بين الشعب لا يشفقون عليهم إلا أن الرب سيقضي عليهم في غضبه (١٠: ٣، ١١: ٥-١٧) كما ويشير هذا المقطع إلى نقص في إدراك وتقدير رسول الرب. (١١: ١٢) لأن زكريا هنا يمثل الرب نفسه كانت قيمته الثلاثين من الفضة تمثل القيمة التعويضية لعبد نطحه ثور (خر٢١: ٣٢) وهي نفس القيمة التي خان بها يهوذا سيده.

يشمل الواجب الثاني الإصحاحات (١٢-١٤) وفيها نرى أورشليم في مواجهة أعداء كثيرين ولكن سيحميها الرب نفسه بدفاعه عنها هذا الخلاص ليس مجرد انتصار على الأمم الكثيرة بل أيضًا تجديد روحي سيأخذ مجراه بين شعب الرب. «سينظرون إلى الذي طعنوه»؛ في إشارة إلى الرب يسوع (يو١٩: ٣٧) وسينوحون بتوبة عميقة فيفضي ذلك إلى

مصدر للنقاء وهجر الأنبياء الكذبة والراعي الحقيقي سيُجرح وغنمه تتشتت (كإشارة إلى الرب يسوع حينما تشتت التلاميذ عنه كما في إنجيل متى٢٦: ٣١).

إلا أن الشعب ستتم تنقيته كالفضة والذهب في البوتقة ويرجعون إلى الرب. وفي الإصحاح الأخير من نبوءة زكريا؛ نجد تفصيلات أوفى عن النصرة العظيمة ليوم الرب على الأمم. فسيقف المسيح بنفسه على جبل الزيتون وسينشق إلى جزأين بينهما وادي من خلاله يهرب الشعب للنجاة. أما عن جنود الأعداء فستتم إبادتهم حيث هم قائمين. وخلال مُلك المسيح؛ فإن الأمم سيطلبون السجود له في أورشليم وحتى أغراضهم وأهدافهم المألوفة لهم ستعكس قداسته.

رسالة ليومنا

اقتبس كتبة العهد الجديد - على الأقل - ثمانية أجزاء من نبوءة زكريا، لتوكيد الحقائق المتعلقة بسياق الموضوع لمؤمني العهد الجديد. بل إن الأمر الأكثر أهمية؛ هو أن زكريا يصور لنا ما يقصده الرب من كلمته وهو تأثيرها في حياتنا. وقمة البصيرة نجدها (عز٦: ١٤) حيث نقرأ عن الشعب «يَبْنُونَ وَيَنْجَحُونَ حَسَبَ نُبُوَّةِ حَجَّيِ النَّبِيِّ وَزَكَرِيَّا» و«أَكْمَلُوا حَسَبَ أَمْرِ إِلهِ إِسْرَائِيلَ وَأَمْرِ كُورَشَ وَدَارِيُوسَ وَأَرْتَحْشَسْتَا مَلِكِ فَارِسَ» لم يقم حجي وزكريا بتدريب العاملين على أسس البناء أو أعطاء إرشادات للأسس الهندسية؛ إلا أن العمل ازدهر بسببهما. والمألوف - عالميًا - أن العامل عليه أن يتعلم المهارات اللازمة لعمله؛ إلا أننا - نحن المؤمنين - يجب أن تؤهلنا كلمة الله لنقوم بالعمل بالطريقة الصحيحة والغرض الصحيح وبذلك يزدهر العمل وبدون ذلك يصيبنا التخبط. وعلى هذا الأساس إن أردنا أن تنشغل أيدينا للعمل للرب؛ فعلينا أن نفتح آذاننا لنسمع كلمته؛ وإذ نسمع صوته فإن ذلك يُثمر خدمتنا بقوة الرب ونثبت عيوننا على مجد المسيح.

ديفيد أندرسون

نظرة على سفر زكريا

الإصحاح الأول: (١-٦)

إن الأسماء الواردة في بداية السفر؛ تعطينا الرسالة العامة للسفر. فكلمة «عِدُّو» تعني الوقت و «زَكَرِيَّا» بمعنى الرب سيذكر شعبه و«بَرَخِيَّا» سيباركهم حتمًا. وكان زكريا واحدًا من البقية أمينًا رجع من بابل لبناء مذبح الهيكل ويعيد بناء أورشليم. وتوضح نبوته مُلك مسيا بقوة ومجد عظيم. وحينئذٍ سيتحقق السلام الحقيقي والرخاء وتتمتع بهما الأمة.

رأينا فيما سبق؛ ما يتعلق بالعدد الأول؛ وهنا نتناول (ع٢-٦) التي فيها يصف زكريا تاريخ إسرائيل - بتتابع - البركة، عدم الطاعة، التحذيرات، عدم المبالاة بها، التأديبيات الصارمة، العقوبات، المطالبة بالانتصاح والتوبة، الهروب من التأديب، استعادة الشركة ثم التمتع بهبة البركات الجديدة العظيمة (أنظر أيضًا ٧: ٨-١٤، ٨: ١٤-١٧).

زكريا (١: ٧-٦: ٨)

إن كل رؤى زكريا الثمانية؛ حدثت في ليلة واحدة؛ وهي باختصار:-

١. الرجل وهو واقف بين الآس (١: ٨-١٧) وهذه الرؤيا تعلن لنا بأن الرب يستخدم الدول الأممية لتأديب إسرائيل حينما لا يطيعه. وتلك دائمًا تتجاوز ما يعطيه الرب من قوة وراكب الفرس يشير إلى الرب واعدًا بالبركات لشعبه الراجع إليه.

٢. القرون والصناع (١: ١٨-٢١) والقرون الأربع تشير إلى الدول الأممية (البابلية، الفارسية، اليونانية ثم الرومان) التي شتت يهوذا ودمرت أورشليم. أما عن الصناع فهم مَنْ يتعاملون بقوة نافذة في أولئك المدمرين. والرابع منهم هو مسيا إسرائيل (مت٢٤: ٣).

٣. الرجل وبيده حبل قياس (٢: ١-١١) إن الرب يقيس، فهو صاحب السلطان المطلق «بَعْدَ الْمَجْدِ(مجده)» (ع٨) و«فِي ذلِكَ الْيَوْمِ» (ع١١) يحدد متى ستتحقق نبوات زكريا.

٤. نزع الثياب القذرة عن يهوشع الكاهن العظيم (ص٣) في هذه الرؤيا يقاوم الشيطان يهوشع فيتدخل الرب فيوبخ المقاوم. وإذ كان يهوشع لابسًا ثيابًا قذرة - تعلن أثمه - فالرب أبدلها بثياب مزخرفة وعمامة وإذ معنى اسمه (الله يخلص) فكان علامة للمخلص العظيم لإسرائيل «الغصن» (ع٨، أر٢٣: ٥، ٦، إش ١١: ١، ١٠) والحجر الذي له سبع أعين يشير إلى المسيح كقوي ليحكم (إش٢٨: ١٦) وذلك بعد إزالة شر إسرائيل في يوم واحد. وتنتهي الرؤيا بتقديم ملكوت المسيح.

٥. المنارة الذهبية وعلى جانبيها زيتونتان (ص٤) وهذه رسالة للحاكم المدني زروبابل الذي ينجح في إعادة بناء الهيكل والأمة الإسرائيلية ليس بالقوة العسكرية أو بقوة بشرية بل فقط «بروحي» (ع٦، ٧) ويشير الزيت - في الكتاب المقدس - إلى فيض الروح - أما «الجبل العظيم» فيشير إلى العوائق التي واجهها زروبابل (ع٧، أنظر سفر عزرا) إلا أنها أُزيلت جميعها بنجاح وكمل البناء في «يوم الأمور الصغيرة» (ع١٠، حج٢: ٢) كلها حدثت في مرأى العيون السبع للرب (ص٣: ٩)

والزيتونتان تشيران إلى كل من يهوشع وزروبابل؛ فيهما النعمة لخير الأمة. وعلى قياس أعظم من خلال المسيح.

٦. الدرج الطائر وهو يشير إلى الناموس بسلطانه على كل إسرائيل. خطيتا إسرائيل الشائعتين هما السلب (ضد الإنسان) وعدم المبالاة والتجديف (ضد الله) أظهرتا عدم اعتبارهم واهتمامهم بناموسه مما تسبب في سبيهم إلى بابل.

٧. المرأة الجالسة في الإيفة (٥: ٥-١١) في هذه الرؤيا لعنة الدرج الطائر أُزيلت في الإيفة - بسعة سلة. والمرأة الشريرة تشير إلى نظام العبادة الوثنية البابلية (أنظر تك١١: ٢، إش٢١: ٩، رؤ١٧: ٥) والوثنية أفسدت إسرائيل (خر٣٢، أع٧: ٣٩-٤٣) أما ألامرأتين والريح في أجنحتهما رفعتا الوثنية إلى شنعار - إشارة إلى أن الرب قد طهّر الأمة (قارن هذا مع ص١٣ من سفرنا تجد التطهير النهائي مستقبلاً).

٨. المركبات الأربع (٦: ١-٨) مرة أخرى؛ تشير تلك المركبات؛ ملائكة مقتدرون قوة؛ «أرواح السماء الأربع» (ع٥) تدير الأربع إمبراطوريات العالمية (راجع زك١: ٩-١١) أُرسلوا بأمر الرب لتنتج سلامًا «في أرض الشمال» (ع٧، ٨) وتحول تصرفات حكام الإمبراطورية الفارسية لخير اليهود. وعمومًا فإن الإمبراطوريات الأربع يستخدمها الرب لإتمام إرادته للشعب

زكريا (٦: ٩-٨: ٢٣)

أمر الرب زكريا بأن يضع إكليلاً على رأس يهوشع (٦: ٩-١٥) معلنًا بأنه «الغصن» الذي يبنى الهيكل و«يتسلط على كرسيه» (ع١٢-١٥) والنبوة أيضًا عن كاهن آخر وملك أصل وذرية داود. ففي المسيح سوف يكون انسجامًا كاملاً بين هاتين

الوظيفتين تدعى «مشورة السلام» (ع١٣ ولاحظ مز١١٠: ٤، عب٧: ١-٣) لأنه سيحمل الجلال وقوة كرامة ملكية.

إن التعبير «هكذا قال رب الجنود» يرد (٤٦) مرة في سفر زكريا وتقريبًا نصفها يرد في الإصحاحين (٧، ٨) إذ يمتد النظر إلى المستقبل حينما يحيط بها مرة أخرى تعبيرًا عن الكراهية وهدفًا لاقتحام الأمم العالمية. أما المسيا نفسه فسيحارب لأجل شعبه وينقذهم حينما يرجع في قوة ومجد عظيم.

حاول بعض اليهود أن ينالوا إرشاد الرب عن طريق الأصوام الأمر الذي تمسكوا بها خلال السبي الذي دام سبعين سنة (٧: ١-١٠) ولقد أقاموا أصوامهم لكي ينوحوا بسبب حالتهم ولكن وإذ تم البناء؛ هل يستمرون في ذلك؟ وتساءل الرب عن بواعثهم لأنه لم تكن هناك شواهد عن توبة حقيقية وحالتهم لم تكن صحيحة ويجب عليهم أن يقضوا قضاء الحق ويعملوا إحسانًا ورحمة كل إنسان مع أخيه ولا يظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير (ع٩، ١٠).

يبدأ الإصحاح الثامن من سفرنا، برؤيا جديدة وهي تنقسم باستخدام التعبير «هكذا قال رب الجنود» فالرب متحمس وغيور لصهيون؛ وسيعود ويسكن في أورشليم، التي ستعمر ويباركها بطول الأعمار. وقد وعد رب الجنود بقية المشتتين من إسرائيل ويشجع شعبه ليتقوا ولا يشكون في كلمته ويحوّل الفقراء والعاقرات إلى البركة والنسل، واللعنة إلى بركات. حينئذٍ سيُرى حكامها في الأبواب في بر وحق؛ ويحوّل صيامهم إلى أعياد؛ فإسرائيل وعاصمتها أورشليم ستكون مركزًا للحكومة العالمية.

زكريا (ص٩، ١٠)

بالرغم من أن زكريا يخبرنا في (٩: ١-٨) عن تدمير الإمبراطورية اليونانية لجيران إسرائيل فإن ذلك سيتكرر بفعل الرب عند ظهوره؛ ويحمى أورشليم من المقاومين.

وفي (ع٩) يسجل «هوذا ملكك يأتي إليك» وهو ما تم حينما دخل أورشليم راكبًا؛ مقدمًا نفسه كابن داود الحقيقي (مت٢١: ١-١١، يو١٩: ١٤) أن ملك المسيا سيمنح السلام والرخاء بفضل دم عهده.

وفي (ص١٠) نرى إسرائيل يتمتع بالبركة إذ تشجعوا بمواعيد الرب من جهة المطر المبكر والمتأخر (تث١١: ١) فرجوعهم مرتبط ارتباطًا وثيقًا بحضور الرب خلال المُلك الألفي (قارن يؤ٢: ٢٣، ٢٦-٢٩) وسيعاقب الرب القادة الأشرار الذين قادوا الشعب إلى الضلال (أنظر حز٣٤: ١٠) ويقود شعبه في طريق النصرة في معركة مع المقاومين (أنظر زك٩: ١٦). ويعطي النبي في (١٠: ٤، ٥) أوصافًا للمسيا كما يلي:-

- «حجر الزاوية» (أنظر تك٤٩: ٢٤، إش٢٨: ١٦، ١بط٢: ٦) ثابت ويمنح بركات مستمرة لإسرائيل.
- «وتد» أو "مسمار" ويحمل الجلال (إش٢٢: ٢٣، ٢٤، زك٦: ١٣).
- «قوس القتال» الذي سيحرز انتصارات عظيمة.
- «الحاكم» الذي يمنح سلطة للآخرين.

إنه - له المجد - سيجمع إسرائيل إلى بلادهم (رو١١: ٢٦، ٢٧) وفي الأعداد ٨، ١١ من سفرنا في الإصحاح العاشر يوضح كيف ولماذا يفعل الرب ذلك (راجع هو١: ١٠).

زكريا (ص١١)

في الأعداد (١-١٧) نجد وصفًا لإسرائيل حينما قاده الرعاة الذين لا يشفقون على الرعية (قارن السراق واللصوص والأجراء يو١٠: ٧-٢١) والرب أشفق على القطيع المدمر (مت٩: ٣٦). أن كلمات زكريا وأفعاله تصف الرعاة الأمناء. والأعداد من (١٥-١٧)

تتنبأ عن الرعاة الحمقى والفاشلين - ضد المسيح، ولذلك فإن هذا الإصحاح وثيق الصلة بالفقرات الثلاثة لتاريخ إسرائيل:-

١. أيام زكريا.

٢. مجيء المسيح الأول.

٣. مستقبل إسرائيل وضد المسيح.

إن وظيفتي الراعي الأمين هي حماية وحفظ القطيع معًا (مز٢٣: ٤) والأعداد (١٢، ١٣) تنبئ عن خيانة يهوذا الاسخريوطي للرب يسوع (مت٢٦: ١٥، ٢٧: ١-٩) ورفض المسيا؛ أدى إلى قصف العصا (ع١٣).

زكريا (١٢-١٤)

تشكل هذه الإصحاحات؛ الوحي الثاني لزكريا؛ أنها من الله الخالق (أنظر إش٤٢: ٥) ظهور المسيا المفاجئ كمخلص إسرائيل، سيدمر جيوش الأمم في الحصار الأخير لأورشليم (أنظر يؤ٣: ٩-١٢، رؤ ١٦: ١٤-١٦) وكأس الترنح تصف الاختبار المرعب للتجربة (أنظر إش٥١: ٢١-٢٣) حينما يستخدم الرب الشعوب الأممية لدينونة إسرائيل (قارن الرؤيا الأولى ص١: ٨-١٧) وستكون نجاتهم بطريقة معجزية، فستخلص أورشليم وتحفظ بتدخل مسيا (رؤ١٩: ١١-٢١) ويصف زكريا في (١٢: ١٠-١٤) كيف أن الرب سيقود إسرائيل - بذلك - إلى التوبة القلبية (أنظر إش٤٤: ٣-٥، حز٣٦: ٢٦، ٢٧، يؤ٢: ٢٨-٣٢) حيث ينظرون إلى «إلى الذي طعنوه» (زك١٢: ١٠، إش٥٣: ٥).

سوف تنقى إسرائيل من «الخطية والنجاسة» (زك١٣: ١، ٢، هو١٤: ٨) وينتهي الأنبياء الكذبة ويظهر الفلاحون وبدلاً من «الجروح في يديك» (زك١٣: ٦) سيجابه الأنبياء الحقيقيين إسرائيل وقد تنقى؛ بحقيقة موت المسيا لأجلهم؛ فنقرأ «استيقظ يا سيف على راعي» (ع٧، وأنظر مت ٢٦: ٣١) وفي هذا نقرأ عن مسيا كمن هو:

- «راعي» الراعي الحقيقي (قارن إش٤٠: ١٠، ١١ وكذلك يو١٠: ١١).
- «رجل رفقتي(رفيقي)» هو إنسان والله معًا.

إن خراف إسرائيل كانت مشتتة إلا أنها لم تكن منسية عند موت مسيا. إلا أنها «في ذلك اليوم» سيجمعهم الرب ثانية من خلال ضيقة عظيمة للتنقية (زك١٣: ٧-٩، حز٥: ١٢) «تقطع» بمعنى أن ثلثين من إسرائيل سيعانون الموت كنتيجة مباشرة لدينونة الله توطئة للدينونة الأبدية. والثلث الأخير سيجتازون خلال الألم في علاقة شخصية مع الرب (هو١: ٩، ٢: ٢٣).

وفي (ص١٤) نجد قمة النبوة حيث المسيا ينقذ إسرائيل «أزمنة الأمم» (لو٢١: ٢٤) تصل إلى نهايتها. وفي يوم الرب سيحارب الرب الأمم لينقذ شعبه ويبيد الأعداء (ع١-٣، مت٢٤: ٢٧-٣١، رؤ١٩: ١١-١٦) وسيظهر شخصيًا ومكانيًا، وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون (زك١٤: ٤، إش٥٢: ٧) الذي سينشق من وسطه؛ نصف نحو الشمال والنصف الآخر نحو الجنوب ليعطي واديًا ليهرب شعبه (مت ٢٨: ٢) ويملك الرب كملك الملوك (إش٣٢: ١، ٦١: ١-١١) ويعطي (زك١٤: ٦-٢٠) تفصيلاً لبعض الحالات في الملكوت:

- سوف يتم معاملة الخطية في الحال عن طريق عدل صارم (حز١٨: ٢٠).
- عيد الخيام سيُحتفل به ويتم.
- سوف تكون هناك طرق جديدة للعبادة في الهيكل. (حز٤٠: ٤٨)

«فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ عَلَى أَجْرَاسِ الْخَيْلِ: قُدْسٌ لِلرَّبِّ. وَالْقُدُورُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ تكُونُ كَالْمَنَاضِحِ أَمَامَ الْمَذْبَحِ. وَكُلُّ قِدْرٍ فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي يَهُوذَا تكُونُ قُدْسًا لِرَبِّ الْجُنُودِ، وَكُلُّ الذَّابحِينَ يَأْتونَ وَيَأْخُذُونَ مِنْهَا وَيَطْبُخُونَ فِيهَا. وَفِي ذلِكَ الْيَوْمِ لاَ يَكُونُ بَعْدُ كَنْعَانِيٌّ فِي بَيْتِ رَبِّ الْجُنُودِ» (زك١٤: ٢٠، ٢١).

اسْمَعُوا فَتَحْيَا أَنْفُسُكُمْ

ليس أروع من أن يتحدث الله، وليس أروع من أن يتحدث إلى الإنسان بالحب والنداء، أوَ ليس هذا ما فعله مع آدم في الجنة بعد سقوطه «أَيْنَ أَنْتَ؟» (تك٣: ٩). يقول النبي: «اسْمَعُوا فَتَحْيَا أَنْفُسُكُمْ» (إش٥٥: ٣). ويقول البشير في الإنجيل «إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ(ساعة النعمة)، حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ» (يو٥: ٢٥).

إن كلام الله وندائه إلى الإنسان يحمل معه قوة روحية محيية من ظلمة الموت الأدبي والروحي التي سقطنا فيها كلنا كبشر بني آدم الساقط. على أن هذا النداء يحمل معه أيضًا دعوة للتوبة وللإيمان. دعوة للرجوع عن طرقنا الردية وثقة في كفاية وكمال عمل المسيح على الصليب لأجلنا.

«الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ.... وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلاَ كَارِزٍ؟» (رو١٠: ١٣، ١٧) وهذا يبين لنا روعة الكرازة والبشارة التي تقدم للبشر جميعًا في يوم النعمة الحاضر الذي أوشكت شمسه على الأفول، وقبل مجيء الدينونة العتيدة المرعبة.

صديقي....

يتكلم الله إليك يوميًا، بوسائل وطرق متعددة، ويرسل إليك رسائل يريدك أن ترجع إليه وتتمتع بغفرانه فتنال الحياة الأبدية فليتك تتجاوب مع نداءاته المتكررة إليك لئلا تضيع الفرصة وتهلك إلى الأبد.

حياة يوسف

سر الإثمار

(تك٤٩: ٢٢ ♣)

«غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ عَلَى عَيْنٍ»، كثيرًا ما اكتحلت عينا هذا الشيخ المتهدم بمنظر واحة في صحراء يحييه وسط رمال البادية. ظل الركب يسير ساعات طويلة، وقد جفت ألسنتهم من شدة العطش، وكادت تخور عزائم البهائم الصبورة، والنساء والأطفال، وإذا بمنظر جميل يزيح عنهم كابوس الملل وسط الصحراء. مدت الكرمة أغصانها المثمرة فوق بعض الحجارة ونشطت كل الأغصان سريعة النمو متيقنة أن تحت الجذور ينبوع ماء عذب.

خليق بنا أن نذهب لأحد الكروم، ونتحدث مع كرام خبير عن نمو الكرمة، الأمر الذي ألف منظره ربنا المبارك منذ الطفولة، وقاده إلى اختيار الكرمة كرمز للعلاقة بينه وبين المؤمنين. قال الرب «أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ»، أنا الكرمة الرئيسية التي ترمز إليها كل أشجار الكروم، كان ممكنًا له اختيار القمح، أو شجرة الزيتون، أو شجرة البرية، ولكنه اختار الكرمة التي تمد أغصانًا لا حصر لها تتسلق بها وتتشبث.

في نموها ليست حرة لتصل إلى السماء
فهي مقيدة في ساقها
وإذا ما امتدت أذرعها
فهي أيضًا مقيدة
وهكذا تستمد غذاء الحياة من سفح الجبل الحجري
وهي ثابتة في مكانها.

♣ «يُوسُفُ، غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ، غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ عَلَى عَيْنٍ. أَغْصَانٌ قَدِ ارْتَفَعَتْ فَوْقَ حَائِطٍ»

تقدم الكرمة ثمارها في أواخر الخريف بعد أن تكون كنوزها قد أنتزعت منها، إنك لتراها جرداء، بينما ترى الأرض نضرة مزدهرة، فعصارتها تنزل إلى جذورها، وأغصانها تشذب ، ونفس القشرة الخارجية تنتزع، فتتعرض إلى قسوة الصقيع. ولا يوجد أي مظهر للجفاف في دائرة النبات مثل الموت الذي يسود الكرمة في أيام الشتاء الطويلة. وحينما نقارن مجد الربيع بمثل هذا الجفاف نتذكر كلمات الرب التي قال فيها «إِنْ لَمْ تقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتمُتْ فَهِيَ تبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتتْ تأْتي بثَمَرٍ كَثِيرٍ» (يو١٢: ٢٤)، كما نتذكر كيف عُلق على الصليب في ساعة الظلمة الحالكة الكئيبة، ساعة الشتاء الذي لم تر الأرض له نظيرًا.

ولكن عندما يأتي الربيع بدفئه تعود العصارة إلى الظهور مرة أخرى، فتدفع الأغصان إلى اليمين وإلى اليسار بارزة من الساق الذي ظل عريانًا طويلاً، وللحال تظهر الأزهار ، ثم طلائع الثمار.

إن أزهار الكرمة ليست إلا شيئًا زهيدًا
فهي أصغر جزء في كيانها
وبالجهد تستطيع أن ترى لها أزهارًا
أما الثمار فتكاد تبدأ قبل أن تخلق الأزهار

ضرورة ضوء الشمس، بدونه لا تحمل الكرمة إلا أوراقًا بكثرة، لكن لا شيء سوى الأوراق.

لا يكفي أن نتصل بيسوع بالإيمان، بل يجب أن تكون لنا شركة معه، مستضيئين بضوء شمسه، متحدثين معه، وخاضعين لرفقته، بهذا فقط يكون لنا الأمل أن نحمل شيئًا أكثر من الأوراق، أكثر من مجرد المظاهر الخارجية.

ومع أن الكرمة تحتاج إلى ضوء الشمس فإنها تحتاج أيضًا إلى الظلام، يقال أنها تستريح في الليل، ولا تنمو، بل تسترد قوتها وتستعد لإظهار نشاط جديد، في النهار تستهلك

عصارة أكثر مما تستمده من الجذور، وفي ساعات ظلمة الليل تكدس العصارة التي تتغذى بها.

وهذا قد يفسر كيف أن الكرام الأعظم في بعض الأحيان يغلق النوافذ، ويسمح لنا باجتياز ظلمة ليل الأحزان والآلام بعد فترات المجهود الشاق والنشاط العنيف، إننا كثيرًا ما نسرف في مواردنا، وعندئذ نحتاج إلى الوقت الذي نسترد فيه قوتنا، ونكدس المؤونة اللازمة للأيام القادمة.

ويتوقف إثمار الكرمة - إلى حد كبير - على مقدار العناية بتنقيتها، لا توجد شجرة أخرى كالكرمة تنفى بقوة، بسكين حادة أولاً ثم بالمقص.

للرب آلات كثيرة للتنقية، هناك سكين كلمته الذهبية المنقية، التي بها ينقينا إن سمحنا له (يو١٥: ٦ ♣)، متحاشيًا سكين التأديب والآلام الحديدية القاسية، والرب يستعمل السكين الحادة التي تتعمق في قطع طبيعتنا، وتترك آثارًا للجروح، قد يستغرق شفاؤها بضع سنوات.

وفي يده أيضًا المقص، أي الحوادث المتعارضة (كحدي المقص) والظروف اليومية التي تبدو متعارضة بعضها مع بعض، ولكنها بالرغم من ذلك تعمل معنا للخير في النهاية.

وعملية التنقية واسعة المدى، حتى أن الأغصان التي تقطع أكثر من التي تبقى. أما الأغصان التي تقطع وتتكدس فوق الأرض فإنها لا تصلح لشيء إلا للنار، تستعمل الأغصان التي تقطع من أشجار التفاح والكمثرى لأغراض مختلفة، كتدعيم الغروس الرخصة، بعكس أغصان الكرمة، هكذا يوجد بيننا الكثيرون من مدعي المسيحية

♣ «أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ»

الذين ليس لهم نصيب ولا قرعة معنا (أع٧: ٢١)، والذين يجب استئصالهم، كذلك يوجد فينا كلنا أشياء كثيرة يجب استئصالها.

وأي عزاء يملأ قلوبنا عندما نعلم أن الكرام لا يترك عملية التنقية للأيدي الغشيمة، فإن السكين لا تمسكها إلا أمهر وأقدر الأيادي، «وَأَبِي الْكَرَّامُ».

والقاعدة المتبعة هي أن لا يُسمح لأي غصن بأن يحمل أكثر من عنقود عنب واحد، أما باقي العناقيد فإنها تقطع، ويقولون أن وزن العنقود الواحد ونوعه في هذه الحالة أثقل وأفضل من وزن العنقودين أو الثلاثة معًا إن بقيت، لذلك فإنه بلا شفقة يقطع عنقودًا بعد عنقود وهي لاتزال في دور تكوينها.

هكذا يسمح لنا الرب في بعض الأحيان أن يقطع عنا طريقًا بعد طريق في خدمتنا المسيحية، ليس لأنه يريد أن ينقص من ثمارنا، بل لكي لا تتبعثر قوة حياتنا، وبالتالي لكي تتجه في مجرى واحد إلى إثمار أفضل وأكثر.

كم من أشخاص يقرأون هذه الكلمات الآن ممن هم تحت التنقية، قد يميلون إلى القول بأن الرب عاملهم بمنتهى القسوة، ربما يكون الزوج والابنان ماتوا ودفنوا في أرض سحيقة، وعض الفقر بنابه على من بقي في البيت المحطم، الذي لم يبق فيه سوى فرد واحد، بعد أن كان ينعم بأسرة تظللها السعادة، مع ذلك فمن هذه المرائر تخرج بركة جزيلة جدًا، يخرج طفل تحتضنه جدته الكسيرة القلب، فيصبح ذلك الطفل جدًا لداود مرنم إسرائيل الحلو، والملك العظيم، ويصير الطفل خيرًا من سبعة بنين، ويعيد البهجة لذلك القلب الجريح (را٤: ١٥)، «كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَخِيرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرّ لِلسَّلاَمِ» (عب١٢: ١١).

ومن الضروري جدًا أن الغصن الذي ينقى يثبت في الكرمة بصفة مستمرة. «اثْبُتُوا فِيهِ» (١يو٢: ٢٨). أعطى هذا الأمر أولاً للأولاد (الصغار)، هكذا كتب الرسول المحبوب،

الذي خط الشيب رأسه، للأحداث والأباء، مدفوعًا بعلاقته الرقيقة معهم كأبيهم في إنجيل يسوع، وما أشد حاجتنا لنكون كالأولاد الصغار، قبل أن نتعلم هذا الدرس الجميل عن الثبات فيه.

أن الولد الصغير كل البعد عن الثقة بالنفس، هو يخشى كل شيء لم يجربه، وكل شيء لا يعرفه، يحاول أن يكون دوامًا برفقة الأم أو الصديق، ويجب أن يسير وراء شخص آخر، أنى لنا بروح الأولاد، وبساطتهم، وثقتهم وإيمانهم غير المحدود، وبراءتهم الجميلة.

قد يقرأ هذه الكلمات الكثيرون من الرجال الأقوياء الذين يفخرون بقوتهم، ولكنهم يجب أن يرجعوا ويصيروا مثل الأولاد إن أرادوا أن يتعلموا سر الثبات فيه، عندما نفرغ ذواتنا من قوتنا وثقتنا بأنفسنا، وتنسحق نفوسنا تحت الآلام، نكون مستعدين لإطاعة تلك النصيحة المباركة، التي هي صدى لأمر السيد نفسه «اثبُتُوا فِيّ».

قيل عن نعمان السرياني القائد الحربي العظيم بعد شفائه إن لحمه رجع كلحم صبي صغير (٢مل٥: ١٤). كان هذا مزيجًا بديعًا، فقد امتزج جسم رجل الحرب الضخم بلحم الصبي الغض الجميل، وهذه الصفات يجب أن تمتزج في كل واحد منا: القوة والبساطة، الرجولة، كداود بطل إسرائيل، الذي لم يرتفع قلبه، ولا سلك في العظائم، بل كان كطفل فُطِم من أمه (مز١٣١)، أمثال هؤلاء يدعوهم الآب أطفاله، يطعمهم بلبن الكلمة النقي (١كو٣: ١, ٢)، يعلمهم أسرارًا خفيت عن الحكماء والفهماء (لو١٠: ٢١) ويدربهم على فن الثبات فيه.

والثبات في المسيح دفعة واحدة ليس بالأمر الهين، هو عمل السنين، ونتيجة السهر المستمر وتدريب النفس، وثمار عمل الروح القدس في الحياة الداخلية، ليس من السهل في بداية الأمر أن تلزم "النبات المتسلق" ليلف نفسه في الاتجاه الذي تريده، بل لابد من

استعمال الخيط والمطرقة والسكين، وبمرور الوقت يتخذ الطريق الذي ترسمه له، وتعلق النفس بالمسيح يأتي نتيجة تدريب النفس المستمر تحت إرشاد روح الله.

والروح القدس يعلمنا الثبات فيه، «الْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ» (١يو٢: ٢٧) و "المسحة" تستعمل دوامًا كرمز نعمة الروح القدس، «كَمَا عَلَّمَتْكُمْ (المسحة) تَثْبُتُونَ فِيهِ» هذا الفن المبارك (الثبات فيه) يعلمه الروح القدس لمن يرى أن يتعلم، فلا تترك غرفتك في الصباح قبل رفع قلبك إليه قائلاً: علمني سيدي أن أثبت فيك، أحفظني ثابتًا في شركتك، وحتى عندما أكون غير مفكر فيك مباشرة أحفظني ثابتًا فيه، ثق بأنه يفعل هذا، وإذا ما شعرت بأي تزحزح فأرفع قلبك وقُل: أيها الرب، يامن أنت حياة البشر ونورهم، زدني امتلاء من روحك القدوس، لكي ازداد ثباتًا فيك.

والثبات في المسيح لا يعني أنك يجب أن تفكر دوامًا في المسيح، حينما تكون في بيت، ثابتًا في دائرته، مقيمًا تحت سقفه، فهذا لا يعني أنك دوامًا في البيت نفسه، ولكنك تعرف دوامًا متى تتركه، قد لا يكون المرء دائم التفكير في أسرته وبالرغم من ذلك فإنه يكون ثابتًا في محبتها، وهي كذلك ثابتة في محبته، وعندما تبدأ محبة أي فرد فيها نفتر من جهته مهددة بالانقطاع فإنه يعرف ذلك في الحال، كذلك نحن قد لا نحس دوامًا برفقة المسيح لنا، قد نكون منشغلين بواجباتنا الضرورية، ولكن حالما تنحرف النفس تحس بأنه كان واقفًا بجوارها كل الوقت، وفي لمح البصر تدرك الحقيقة المرة، فتردد صرخة المرنم «قَرِيبٌ أَنْتَ يَا رَبُّ» (مز١١٩: ١٥١). فليتنا نحيا الحياة المباركة تحت التفكير في رفقته الدائمة لنا، كما يعيش سكان أودية جبال الألب تحت عظمة أحد الجبال المغطاة بالثلوج.

والثبات في المسيح يعني حياة المناجاة معه، يعني الثبات فيه أن نخبره بكل شيء، أن نتحدث معه عن همومنا وكل ظروفنا، أن نتحدث معه بصراحة كما نتحدث مع

صديق مخلص يهمه أمرنا، أن نطلب مشورته أو نصيحته، أن نعبر له عن محبتنا، أن نعتمد على موارده، كما يعتمد الغصن على عصارة وحياة الكرمة، أن نكتفي بأن نكون مجرد أوان طالما كانت قوته ونعمته تفيضان من هذه الأواني، أن نكون مجرد قاع النهر المختفي تحت المياه المتدفقة إلى البحر، هذا هو معنى الثبات في المسيح، هذا ما عاناه داود حين قال: «وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ، وَأَتفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ» (مز٢٧: ٤).

وعندما يضمن هذا الثبات فإن الجذور تمد الغصون بالقوة اللازمة للإثمار. يبدو لي كأني أسمع الأغصان تشكو قائلة أنه من المستحيل عليها أن تحمَل بالعناقيد، وكان لسان حالها يقول: إن كنتم تنتظرون الثمار منا فأنتم تطلبون المستحيلات لأننا لا نستطيع تقديمها. ولكننا لا نتوقع منها تقديم الثمار، فإن عليها فقط أن تصمت، وتدع الجذور تسكب فيها عصارتها، وعندئذ يتبين بالاختبار أنه غير مطلوب منها أي نوع من الجهاد أو المجهود أو الإلزام، لأن عصير النبات يظهر فيها من تلقاء ذاته ويكفيه طبيعة سهلة، فتتورم العناقيد ممتلئة عصيرًا والصعوبة ليست في الإثمار بل في عدم الإثمار، وهناك فرق شاسع بين الثمار والأعمال، بين ثمار الروح وأعمال الجسد.

فليت المسيحيين يتعلمون أن هناك خطرًا شديدًا في التركيز على جهودهم الشخصية في حياتهم المسيحية، فإن قوتهم الحقيقية هي في أن يصمتوا، ويدعوا يسوع يسكب من السماء نعمته وقوته وبركته على العالم عن طريقهم.

هذا هو العلاج الحقيقي لليأس من جهة، وللكبرياء من الجهة الأخرى، لليأس لأنه مهما كان ضعفنا فهو لا يمكن أن يحول دون سكب قوة المسيح، والواقع أن الضعف هو الشرط الوحيد لإظهار قوته، لأن الله عندما يعطي الثمر الكثير عن طريق أضعف الضعفاء فحينئذ يكون فضل القوة له. وهذا علاج للكبرياء، لأنه واضح أن الغصن لا

يمكن أن يفتخر بأنه هو خلق الثمار طالما كان هو الواسطة التي ظهرت عن طريقها هذه الثمار.

وحياة الكرمة بكليتها، بأغصانها المثمرة، إنما هي مثل لإنكار الذات، إن القصد الوحيد من وجودها هو أن تثمر، أن تفرح الله والناس، هذا أفضل حتى من تملكها على الأشجار (قض٩: ١٣).

والأمنية التي تملأ قلب الرب يسوع، وقلوبنا نحن أيضًا، إن كنا قد امتلأنا من روحه، هي أن نثمر لمجد الآب، ببركة وخلاص البشر كل ما يبتغيه ربنا هو أن يعلن للبشر جمال طبيعة الله، وهو ينقل هذه الغاية إلى تلاميذه الحقيقيين (يو١٥: ٨).

واضح إذن أننا لكي نصل إلى هذا الغرض ينبغي أن نتخلى عن ملذاتنا وخططنا ومصالحنا الشخصية. قال أحدهم: إن كان الله يستطيع إعطاءنا أفضل وأعظم عطية نتوق إليها فوق كل عطية أخرى، فهذه هي أن يعطينا ذلك الامتياز بأن نبذل حياتنا من أجل خير الآخرين.

ولكن ما أقل الذين وصلوا إلى هذه الروح، فنحن نخاف على أنفسنا، ونسيج حولنا بسياج منيع لكي لا يصل إلينا أي أذى، لا نطلب المزيد من القوة الإلهية، ونعطي الآخرين فضالتنا، وهكذا نخسر سعادة الحياة وقوتها.

أما أن تعلمنا كيف ننكر ذواتنا كل يوم، بل كل ساعة، ذاكرين على الدوام ما يرى يسوع أن يفعله فينا وبنا، وما يؤدي إلى خير ألوف البشر المتعبين، عندئذ يكمل فرحنا، وتسمو حياتنا، وتعظم اختباراتنا، وتكثر ثمارنا.

حياة بطرس

شخصيات كتابية

ف. ب. ماير

باب الإيمان للأمم

والآن نفتتح فصلاً جديدًا في تاريخ الكشف عن القصد الإلهي لجنسنا. لنخلع الحذاء من أرجلنا، لأن هذه يقينًا أرض مقدسة... « يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ».

هنالك حقائق معينة يجب أن نلخصها ونحن نحاول أن نعرف السر الذي في أجيال أخرى لم يعرف به بنو البشر، كما قد أُعلن الآن بالروح القدس الذي يفحص كل شيء، حتى أعماق الله.

نحن نعلم أن الكنيسة وُلدت يوم قيامة الرب، فإنه كان دوامًا يشير إليها بصيغة المستقبل «وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي (وفي الأصل "سأبني") كَنِيسَتِي». وحينما نزل «إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى»، وضع الأساس الذي قام عليه البناء المجيد، الذي كان يجب أن يُبنى معًا - بيتًا غير مصنوع بيد - مسكنًا لله في الروح.

ونحن نعلم أنه حينما ارتفع المخلص إلى عرشه في السماء، نزل الروح المعزي إلى عرشه أو كرسيه في الكنيسة، ليكون معلما لها وملهمًا ومرشدًا، «وَاسْتَقَرَّتْ (أو جلس) عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ». إن الله لا يزال حالاً بين البشر. وكما تجسد الرب يسوع المسيح من الروح القدس ومن العذراء المُطوَّبة مريم، هكذا حلّ الروح القدس في الكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل.

ونحن نعلم أيضًا أن القصد الإلهي من البدء هو أن تضم الكنيسة الواحدة، لا اليهود فقط، بل الأمم الذين لم يقبلوا ختم وعلامة العهد الإبراهيمي، بل دخلوا مباشرة من العالم الوثني بمجرد الإيمان. كان هذا قصد الله الخفي(كما يخبرنا بولس في ختام رسالة

رومية) «الَّذِي كَانَ مَكْتُومًا فِي الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ» والذي لم يؤتمن على كشفه سوى بولس بصفة خاصة، الذي، ولو كان قد دُعيَ بعد جميع الرسل، إلا انه أُعطي له امتياز خاص أن يُدعَى رسول الأمم. لم يكن أمرًا هينًا قط - حتى قبول كرنيليوس في الكنيسة - أن يخطر ببال الرسل، أو جماعة التلاميذ، بأن الأمم يجب أن يكونوا شركاء اليهود في الميراث وعضوية الجسد ومواعيد المسيح. وكانت الفكرة السائدة بأنه لا يجوز دخول الأمم باب الكنيسة المسيحية إلا بعد أن يصيروا يهودًا أولاً. أما الكتاب المقدس، فقد سبق أن أنبأ بأن الله يبرر الأمم بالإيمان، وبالإيمان فقط. أُعلنت هذه الحقيقة مقدمًا إلى إبراهيم في فجر حياته باعتباره أب المؤمنين، وأُعلن إليه بأن «لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًّا، وَلاَ الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَانًا، بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ، وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ، الَّذِي مَدْحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللهِ» والأرجح جدًّات أن الرسل، عندما أرسلهم الرب إلى كل العالم ليكرزوا ويتخذوا تلاميذ من كل الأمم، ظنوا بأن طقس الختان يجب أن يسبق خدمة المعمودية. ولم يمكنهم أن يصلوا إلى كل الحق إلا بالتدريج، ويدركوا أنه في المسيح ليس يهودي ويوناني، أو ختان وغرلة، أو عبد وحر، أو ذكر وأنثى، بل الجميع واحد فيه.

ونحن نعلم أيضًا أنه لاق بذاك الذي أُعطيت له مفاتيح ملكوت السموات، والذي فتح باب بركة يوم الخمسين لليهود، أن يُمنح شرف إتمام نفس الخدمة للأمم أيضًا. قضى بطرس ثمان سنوات مع رفقائه الرسل، حاصرًا كل جهده في تثبيت وتدعيم الكنيسة الرئيسية. أما الآن، فقد حان الوقت ليتعلم أن بنيها يجب أن يُجمعوا من جمهور كبير ليس له عدد من كل أمة وشعب ولسان.

فلنتأمل إذن في الخطوات التي سارت به العناية فيها لتعلن له فكرة أوسع عن القصد الإلهي، مظللة إياه بتلك السحابة المرشدة التي أخرجته من أورشليم المستعبدة إلى أورشليم العليا التي هي بالحقيقة حرة روحيًا.

كان بطرس يهوديًا صميمًا. فكان يتشكك حتى في اليهود الناطقين باليونانية، الذين كانوا مبعثرين في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية. وهو لم يعرف الأمم منذ الطفولة، إلا على قدر ما رآه فيهم من مدنية براقة حوّلت بحيرة الجليل إلى جنة رومانية. وكان قد تعرّف شخصيًا ببعض الضباط الرومانيين، ومحصلي الضرائب، وقواد المئات، والجنود، ولكنه لم يدخل بيتًا أمميًا قط، ولم يجلس إلى مائدة أممية قطعًا، ولم يتعد وصايا الناموس الدقيقة على الإطلاق من ناحية الأطعمة. وكان يحجم عن معاشرة الأمم، كما يفعل البرهمي اليوم مع أحط الطبقات في الهند. لهذا نراه، حينما دُعي ليأكل من محتويات الملاءة العظيمة، التي كانت تحوي مختلف الحيوانات والطيور، يصرخ قائلاً: «كَلاَّ يَارَبُّ لأَنِّي لَمْ آكُلْ قَطُّ شَيْئًا دَنِسًا أَوْ نجسًا».

إن المعلم الإلهي مستعد أن يطيل أناته علينا، قبل أن يأمرنا بالتنازل عن رغباتنا واتخاذ خطوة لا محيص عنها. هو يشع علينا بنور روحه القدوس المضيء، قبل أن يدعونا لفك خيامنا والسير في رحلة مجهولة. وهو يسمح بأن يعطينا «أَمْرًا عَلَى أَمْرٍ. أَمْرًا عَلَى أَمْرٍ. فَرْضًا عَلَى فَرْضٍ. فَرْضًا عَلَى فَرْضٍ. هُنَا قَلِيلاً هُنَاكَ قَلِيلاً» بكميات منوعّة، وأشكال مختلفة، لكي يكشف لنا عن مفعولية وضرورة وأهمية الطريق الذي يدعونا إليه.

لنتتبع الخطوات التي أُخذِت في الحالة التي أمامنا:

١. حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين

كان اليوناني (أي اليهودي اليوناني) ينظر دوامًا إلى أورشليم والهيكل نظرة المحبة والولاء. لذلك كان يجعلها قبلته أينما صلى، وإليها كان يأتي بكل أفراد أسرته، حسبما كانت تسمح نفقات السفر لحضور الأعياد السنوية. وفي المدينة المقدسة، كان يرغب أن يموت ويُدفن في تخومها، كان حاضرًا يوم الخمسين عدد عظيم من هؤلاء اليهود الذين كانوا في الشتات، فانضم الكثيرون منهم في ذلك اليوم، كما في الأيام التالية،إلى المسيح. وتنازل الكثيرون منهم عن ممتلكاتهم، كبرنابا الصالح، وأتوا بثمنها إلى الصندوق العام، وكان فقراؤهم يتناولون المساعدات من هذا الصندوق لإعالتهم.

ولكن روح المحبة والسلام، الذي كان يسود كل الجماعة، سرعان ما تعكر صفوه بسبب ما ساد البعض من روح التذمر. فإن أراملهم اشتكين من أن روح المحاباة ظهرت في التوزيع اليوم، لأن أرامل اليهود المواطنين كن ينعمن بقسط أوفر منهن.

رأى بطرس ورفاقه أن موجة التذمر تعالت، وأن خطر الانشقاق محقق، فاعتزموا اتخاذ إجراء سريع لصد هذا التيار. وبعد تفكير طويل، وصلوا أخيرًا إلى هذه النتيجة، وهي أن دعوتهم العليا هي للصلاة وخدمة الكلمة، أما خدمة الموائد هذه، فيجب أن توكل إلى سبعة رجال مشهودًا لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة. لهذا تقدموا إلى الكنيسة لاستشارتها - باعتبارها السلطة العليا - واختيار هذا العدد من بينها... «فَانْتَخِبُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ سَبْعَةَ رِجَالٍ مِنْكُمْ، مَشْهُودًا لَهُمْ وَمَمْلُوِّينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَحِكْمَةٍ، فَنُقِيمَهُمْ عَلَى هذِهِ الْحَاجَةِ وَأَمَّا نَحْنُ فَنُواظِبُ عَلَى الصَّلاَةِ وَخِدْمَةِ الْكَلِمَةِ»

وهنا، نلاحظ ضمنًا، أهمية هذا التصرف، وما يلقيه من ضوء على المركز الحقيقي الذي كان يشغله بطرس في الكنيسة الأولى، فلو أنه كانت له السلطة التي يحاول خلفاؤه أن يخلعوها عليه، لما كان قد ترك التصرف في هذا الأمر الخطير للكنيسة، بل كان قد تصرف حسبما تخوّله له هذه السلطة المزعومة، واختار أولئك الشمامسة السبعة. ولكن هذا لم يحصل ، فقد رُؤِيَ بأن الاختيار يجب أن يُترك للكنيسة. أما الرسل، فإنهم إنما يصادقون على الاختيار بالصلاة ووضع الأيدي.

ومما يلاحظ أن جميع الشمامسة الذين اختيروا كانوا من اليونانيين اليهود، عدا الأخير الذي كان أمميًا متنصرًا. أما وحدة الكنيسة، واتفاق كلمتها في هذا الإجراء الخطير، فيعزيان إلى حضور وإرشاد الروح القدس، الذي تبينت سلطته العليا في أمر حنانيا وسفيرة، حتى أن بطرس لم يجسر أن يتفوّه بكلمة ضد القصاص الذين نالهما.

٢. الاحتجاج القوي الذي قدمه استفانوس، ثم استشهاده

في الخطاب الرائع الذي تدفق من بين شفتي ذلك الشاب اليوناني، الذي طالما كان وجهه يلمع «كَأَنَّهُ وَجْهُ مَلاَكٍ»، لابد أن يكون بطرس قد بُهر إزاء فصاحته التي لا حد لها،

وطلاقة لسانه، وقوة حجته، ولعله ردد مرارًا تلك الكلمات النارية التي نطق بها استفانوس، مؤكدًا بأن ذلك الشعب المختار، في كل أيامهم السالفة، كانوا يقاومون الروح القدس كلما دعاهم إلى خطوة جديدة (أع٧: ٥١). رنت هذه الكلمات في آذانهم فكان لها أسوأ الأثر في نفوسهم، فدبروا المؤامرات السرية، وعقدوا الاجتماعات العلنية. ولعل بطرس، وهو يصغي إليها، تذكر كلمات السيد المتضمنة بأنه من المستحيل وضع خمر جديدة في زقاق عتيقة.

٣. ثم تبع ذلك إرسالية السامرة

بسبب كرازة فيلبس، استطاع جمع غفير من السامريين أن يتحرروا من ضلالة سيمون الساحر، التي هي أشبه ما تكون بما نسميه نحن اليوم "علم الاتصال بالأرواح"، واعتمدوا باسم يسوع. كانت هذه النهضة تحتاج إلى تنظيم أدق، فاعتزم الرسل - الذين تجاسروا على البقاء في أورشليم، رغم اضطهاد شاول العنيف - إيفاد بطرس ويوحنا لتفقد هذه الحركة، واقتياد المتنصرين الجدد إلى التمتع الكامل بمواهب الروح القدس. لقد كان قلب الكنيسة ينبض بقوة، رغم أن الكثيرين من أبناءها وبناتها اضطروا لأن يهربوا بحياتهم.

وهنا، نرى بطرس مرة أخرى يلجأ للتعليم والصلاة ووضع الأيدي، فتتكرر معجزة يوم الخمسين «فَقَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ» ورغم أن أهل السامرة كانوا يحرصون على ممارسة الختان، فإنهم كانوا معتبَرين جنسًا غريبًا، وكان اسمهم يستعمل كعلامة للتحقير«أنت سامري»، حتى إنه لم يكن متوقعًا أن يصدر عمل صالح من أي واحد منهم، كالعمل الذي أتاه السامري الصالح. ولكن، كم كانت دهشة الرسولين حينما رأيا أنه، نتيجة صلواتهما، حلّ الروح القدس على الذين آمنوا من السامريين دون محاباة. والواقع أن بطرس تأثر جدًا بما رأى، حتى إنه لم يكن في وسعه إلا أن يسير مع تيار القصد الإلهي، ولذلك فإنه، لدى عودته إلى أورشليم، كرز هو ويوحنا في قرى السامرة التي جازا فيها (ع٢٥). وهنا، نرى أيضًا إعلانًا آخر يكشف قصد الله.

٤. على أن العملية تقدمت تقدمًا محسوسًا جدًا بتجديد شاول الطرسوسي

كانت أخبارًا في غاية الغرابة والإدهاش، تلك التي وصلت أورشليم، بأن المضطهد الأعظم للكنيسة قد قطع الرب عليه الطريق، فصار خادمه المطيع، على أنه لم تكد تصل إلى المؤمنين أخبار أخرى عن تفاصيل هذا الحادث العجيب، حتى علموا أن شاول اضطر للهرب من دمشق، واتجه ناحية بلاد العرب. وبعد انقضاء فترة معينة، دهش بطرس إذ رأي أن شاول أقبل إليه في مسكنه المتواضع في أورشليم، ومكث في ضيافته خمسة عشر يومًا. لا شك في أننا جميعًا تتملكنا رغبة قوية للوقوف على تفاصيل ذلك الحديث الذي دار بين هاتين الشخصيتين المختلفتين في السن والثقافة والعقلية، ولكنهما، رغم ذلك، متحدان عند أقدام المسيح. ألم يطلب شاول - الذي رأى الرب توًا - من صديقه الأماكن التي ارتادها المسيح في أيامه الأخيرة؟ ألم يفكرا في الخروج خارج أسوار المدينة والذهاب إلى جثسيماني، والجلجثة، وبستان يوسف؟ لابد أن يكون بطرس قد حدّث بولس بهذا الحديث وهو يصغي بكل انتباه: هناك،على تلك الخضرة، كان يسوع جاثيًا، وأنا أتيت بعد ذلك في الفجر وقلبي يكاد يتمزق. هنا، في هذه البقعة، اشهرت سيفي، لأني لم أحتمل بأن أرى القوم القساة القلوب يربطون يديه بقسوة وعنف. وفي الجلجثة، هنا رفع صليبه؛ استطعت بالجهد أن أتبين المنظر وأنا واقف عن بُعد، لأن الظلمة كانت حالكة. لم استطع الانتظار حتى النهاية. ولهذا عدت أنا لكي يمكن إخلاء يوحنا الذي ظل ملازمًا لها حتى عودتي. والآن، تعال بنا إلى القبر؛ هنا وضعوه مساء الجمعة، على أن النسوة أتين إلينا في فجر أول الأسبوع، وحملن إلينا رسالة بأنه حي، وبأنه يريد أن يراني. في ذلك المكان القصي التقينا، على أنني لا أستطيع أن أفضي إليك بكل ما حصل هناك، فإنه مغلق عليه في قلبه وقلبي.

لم يكد الأسبوعان ينتهيان، حتى تقدم شاول فجأة إلى صديقه ووجهه يشرق بضياء غريب، كأنه رأى - كما رأى إشعياء من قبل - السيد جالسًا على كرسي عالٍ وعلى الفور، وجه إلى بطرس هذا الحديث: أيها الصديق العزيز، ماذا تظن؟ بينما كنت أصلي

الآن في الهيكل، شعرت كأنني اختطفت من الأرض، ثم رأيت السيد الذي قال لي: عَجِّل في الخروج من أورشليم، لأن أهلها لن يقبلوا منك شهادة عني. فقلت: أيها الرب، إنهم يعلمون أنني كنت أسجن وأجلد، في كل مجمع، كل من يؤمن بك. أما هو، فقال لي: لهذا فأنت ترى أنه لا مناص من الذهاب. لابد أن يكون بطرس قد انزعج جدًا بسبب ما علمه من الخطر المحدق بصديقه. ولهذا، اتُخذت خطوات سريعة نحو تدبير أمر إخراجه من منطقة الخطر، وارتحاله إلى قيصرية، وأخيرًا إلى طرسوس (أع٩: ٣٠). وعندما وصل خارج المدينة، ونجا بحياته، لابد أن تكون كلمات الوداع هذه«مِنَ الآنَ أَذْهَبُ إِلَى الأُمَمِ» قد مزقت أحشاءه. لم يكن ممكنًا عصيان هذه الدعوة، فقد أتته من الرب نفسه، ولكنها أعدته لتلبية الدعوة الجديدة التي كانت ستوجه إليه عن قريب.

٥. وتمت العملية في يافا

بعد ارتحال بولس، رأينا أن «الْكَنَائِسُ فِي جَمِيعِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْجَلِيلِ وَالسَّامِرَةِ فَكَانَ لَهَا سَلاَمٌ، وَكَانَتْ تُبْنَى وَتَسِيرُ فِي خَوْفِ الرَّبِّ، وَبِتَعْزِيَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ كَانَتْ تَتَكَاثَرُ» (أع٩: ٣١). انتهز بطرس أيام الهدوء هذه واعتزم القيام بجولة صغيرة لافتقاد الإخوة في اليهودية. وبعد فترة قصيرة، وصل إلى لدة حيث شفى إينياس الذي كان مفلوجًا منذ ثماني سنين، وكانت هذه المعجزة ممهدة لكلمة المسيح الشافية. من ثم، استدعي برسالة معجلة إلى يافا التي تبعد ستة أميال ونصف عن لدة، حيث كانت هنالك تلميذة محبوبة اسمها طابيثا قد ماتت. اقتدرت صلاة بطرس من أجلها، وحينما مد يده إليها، قامت لتستأنف خدمتها لكل القديسين والأرامل في تلك المدينة الصغيرة.

بعد ذلك، خُيّل إليه أن مهمته هناك قد تمت، فإنه لم يكن أمامه سوى بحر الأمم، الذي ترمز مياهه المضطربة إلى اضطراب العالم، طالما كان بعيدًا عن المسيح. أما المنزل الذي كان مقيمًا فيه فقد كان حافلاً بذكريات الموت، وما يتطلبه من تطهير حسب أمر الناموس. ولهذا، فقد كان البقاء فيه بغيضًا جدًا على نفسه كشخص يتمسك كل التمسك بالناموس. ثم إن كنيسة أورشليم قد نقص عددها جدًا بسبب ما حل بها من

اضطهاد وتشتيت، ولهذا، فقد أصبح مجال الخدمة فيها ضيقًا ومحصورًا جدًا، ولا يكفي هذه النفس التي تعودت على الخدمة في مجال متسع في السنوات الثمانية الماضية. إذن، فما هي الخطوة التالية في خدمته؟ أكان متوقعًا ازدياد صنع الآيات على يديه، وأيدي رفاقه، كتلك الآية التي تمت على يديه في يافا؟

صعد ظُهر أحد الأيام إلى السطح ليصلي، ولعله قصد بصلاته أن يعلن الله له نورًا جديدًا...«وَبَيْنَمَا هُمْ يُهَيِّئُونَ لَهُ» طعام الظُهر، «وَقَعَتْ عَلَيْهِ غَيْبَةٌ» فرأى من السماء المفتوحة عالمًا مفديًا كملاءة بيضاء. وحينما أبصر محتويات هذه الملاءة المتعددة الأصناف: الوحوش، الزحافات، والطيور، طاهرة نجسة، انزعجت نفسه. على أنها ازدادت دهشة وانزعاجًا، حينما سمع هذا التصريح الخطير، إن الله طهرها جميعًا، وأن كل الحواجز الناموسية قد تحطمت، وأن في استطاعته أن يأكل أيا شاء منها...«قُمْ يَا بُطْرُسُ، اذْبَحْ وَكُلْ».

وإذ كان بطرس يرتاب في نفسه، ماذا عسى أن تكون الرؤيا التي رآها، إذا به يسمع قرعًا على الباب، وصوت رجال ينبعث وسط هدوء الظهيرة وهم ينادونه باسمه، ثم يؤكد له الروح أنه لا داعي للخوف أو التردد. كل هذا يدل على أن الساعة قد اقتربت، وأن هنالك عصرًا جديدًا ينتظر الكنيسة.

يا له من درس رائع الجمال لقلوبنا الحائرة المضطربة. كثيرًا ما نجد إنه من العسير على أنفسنا الانتظار حتى تحين الفرصة السانحة، التي حددها الرب، ونخبط رأسنا في أسلاك القفص كالعصفور المحبوس، وتخامرنا الكشوك، رغم أننا قد نكون مواظبين على الصلاة؛ ونجد إنه من العسير إطاعة وصية المرنم بأن نلقي كل همنا وكل طرقنا وكل أنفسنا على الله. أو إرشاده، أو المعونة التي نحتاجها...«عَلَى مَرْصَدِي أَقِفُ، وَعَلَى الْحِصْنِ أَنْتَصِبُ، وَأُرَاقِبُ لأَرَى مَاذَا يَقُولُ...لأَنَّ الرُّؤْيَا بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ، وَفِي النِّهَايَةِ تَتَكَلَّمُ وَلاَ تَكْذِبُ. إِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا لأَنَّهَا سَتَأْتِي إِتْيَانًا وَلاَ تَتَأَخَّرُ... وَالْبَارُّ بِإِيمَانِهِ يَحْيَا» (حب٢: ١- ٤).

تأملات هادئة

ماكينتوش

«ظَهَرَ إِلهُ المَجْدِ لأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ فِي مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ... وَقَالَ لَهُ: اخْرُجْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ، وَهَلُمَّ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ فَخَرَجَ حِينَئِذٍ مِنْ أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَسَكَنَ فِي حَارَانَ. وَمِنْ هُنَاكَ نَقَلَهُ، بَعْدَ مَا مَاتَ أَبُوهُ، إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ»(أع٧: ٢-٤)

كان هناك ارتباط عائلي يعوق إبراهيم، وإذ انقطع بموت أبيه في حاران، وتحرر إبراهيم ليذهب إلى حيث أرسله الرب. إن الربط العائلية هي مِن الله ولكن لا يجب أن تعيق التكريس للرب. ليست هناك محبة بنويه رقيقة أكثر مما كانت للرب - جسديًا - إلا أنه - له المجد - كان يحتفظ لكل من مطالب أبيه والأسرة كلٍ في مكانه الصحيح (لو٢: ٤٩، ٥١)

وهناك عائق آخر تعرض له إبراهيم ألا وهو اليسير من عدم الإيمان. ونحن بدورنا علينا أن نحذر من الفشل الظاهر في معظم القديسين البارزين الذي ظهر فيما كانوا يزهون به نظير موسى الذي كان «حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ» (عد١٢: ٣) كيف أنه «فَرَطَ بِشَفَتَيْهِ» (مز١٠٦: ٣٣) بل وإن أيوب مثال الصبر «فَتَحَ أَيُّوبُ فَاهُ وَسَبَّ يَوْمَهُ» (أي٣: ١) وإبراهيم أبو المؤمنين كان في قلبه أصل عدم الإيمان الذي ظهر أولاً في مصر - عندما هرب من الجوع - فبينما وعده الرب «فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً» (تك١٢: ٢) خاف أن المصريين يقتلونه ليأخذوا زوجته (تك١٢: ١١- ١٣) وحثها بأن تخدعهم بأنها ليست زوجته. أوَ لم يكن جدير به أن يبقى في المكان الذي دعاه إليه الرب فلا تكون هناك فرصة للخوف؟

إن الروح القدس إذ سجل فشل أولئك القديسين يحذرنا ألا نخطو خطوات خاطئة عكس الإيمان والأمانة المسيحية.

من روائع الكلمة

النعمة الفائقة

النعمة هي فيض قلب الله المحب بالجود والإحسان في مشهد فشل الإنسان وخرابه التام، هي أبرز ما يميز عهدنا الحالي "عهد النعمة". فالمسيح «النعمة والحق به صارا» وهو المملوء نعمة، وانسكبت النعمة على شفتيه، والله أبونا هو «إله كل نعمة» والروح القدس هو «روح النعمة». والذين يأتون إلى المخلص الوحيد الآن ينالون معنا «فيض النعمة».

على أن هناك خطئان شائعان بصدد هذه النعمة الإلهية الغنية والمتفاضلة. الأول هو تجاهلها تمامًا والتركيز على مبدأ الأعمال وكأننا نعود إلى الخلف إلى عهد الناموس الذي كشف عجز الإنسان وفساده ولم يقدم حلاً. والخطأ الثاني هو اعتبار النعمة فرصة وحرية للجسد تصل إلى درجة «يُحَوِّلُونَ نِعْمَةَ إِلهِنَا إِلَى الدَّعَارَةِ» (يه١: ٤) ياللهول!

إن النعمة تتدخل لصالح الإنسان التائب العاجز عندما يكتشف بالروح القدس حالته الميئوس منها. وإذ يتمتع هذا التائب بالغفران نتيجة للإيمان بالمسيح وبكمال عمله على الصليب، فإن نعمة الله المخلصة تعلمه أن ينكر الفجور والشهوات العالمية ويعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر. وصدق المرنم إذ قال:

النعمة التي حررت قلبي من الخوفِ
هي التي وضعت خوفك في القلبِ